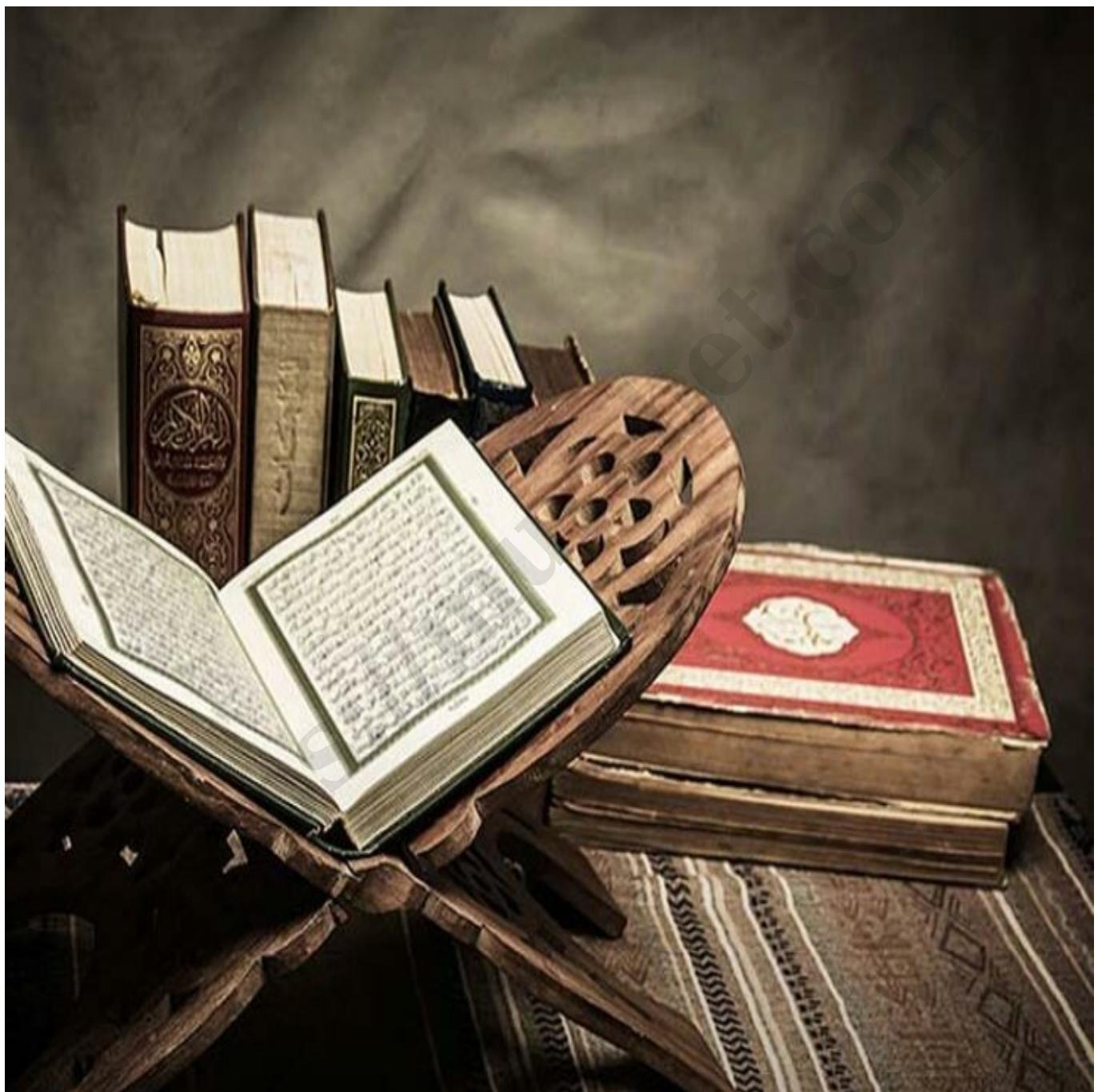


فن أصول التفسير ج 7

الكاتب: مساعد الطيار



قوله ما له من دافع

ثم قال: مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ [الطور:8].
ما هي النظائر التي وردت في قوله: مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ [الطور:8]؟ هناك نظائر في المعنى كثيرة في القرآن، من ذلك حديث النبي ﷺ عليه وسلم قال: (يجاء بالكافر يوم القيمة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك)، فمثل هذا الحديث، وما ورد من أمثاله، يدخل في معنى: مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ [الطور:8]، يعني: حتى لو جاء بالأموال الطائلة، بالبنين، فإنه لا دافع من عذاب الله سبحانه وتعالى.

قوله يوم تمور السماء مورا

قال تعالى: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [الطور:9].
علاقة قوله: (يوم تمور السماء...) بقوله: (إن عذاب ربك لواقع)
ما علاقة قوله: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [الطور:9]، بقوله: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ [الطور:7]؟ كأنه أشار إلى ما يحدث في هذا اليوم الذي يقع فيه العذاب، وهنا أيضًا فائدة تنتبهون لها في حديث القرآن عن يوم القيمة، لما قال: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ [الطور:7].. يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيِّرًا [الطور:9-10]، الحديث عن أحداث يوم القيمة حديث واحد، يعني كأنه وقت واحد يحدث فيه كل هذه الأحداث، وإن كانت في الحقيقة أحداث متواتلة، شيئاً بعد شيء، لكن في القرآن إذا جاء الحديث عنها فإنها كأنها يوم واحد تقع في زمن واحد. مثلًا سورة التكوير: إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ [التكوير:1-2].. إلى أن قال: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ

[التكوين: 11]، هل الوقت هذا الذي يقع فيه الاثنين عشر حدث واحد، وتحصل في وقت واحد؟ أو في وقت طويل؟ هو في وقت طويل، فالتعبير عن هذا الوقت الطويل في القرآن بهذه الأحداث، بعض النظر عن متى يقع هذا؟ ومتى يقع هذا؟ لأن المقصود هذا الزمن الذي يسمى يوم القيمة، تقع فيه جملة هذه الأحداث، ولهذا عندما قال: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ [الطور: 7-9]، يعني بأنه قال: واقع (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا).

الأحداث التي تقع للسماء غير المور

وهنا سؤال: قوله: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [الطور: 9]، هل هناك أحداث تقع للسماء غير المور؟

نعم هناك أحداث أخرى للسماء، قال تعالى: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكُتُبِ [الأنبياء: 104]، وعندنا أيضًا الانشقاق: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ [الانشقاق: 1]، وعندنا أيضًا: فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدُّهَانِ [الرحمن: 37]. إِذَا المقصود أن الحديث عن الأحوال التي تقع للسماء يوم القيمة موزعة في آيات القرآن، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ [المعارج: 8]، فإذا هي أحداث تقع للسماء في هذا اليوم، وقد وضعت في القرآن.

كل واحدة حدث، وبعضها قد يكون نفس المعنى، وبعضها لا، المور غير: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ [المعارج: 8]، غير: فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدُّهَانِ [الرحمن: 37]، غير الانشقاق، وقد يكون بعضها من لوازם بعض.

مواطن ورود المور في القرآن

هل ورد المور في القرآن في غير هذا الموطن؟

نعم في سورة الملك قال: أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ [الملك: 16]، فما هو المور؟ من لطائف اللغة أن بعض الألفاظ المعنى فيها متركتب من عدة معاني، فلفظة (المور) متركتبة من عدة معاني: الحركة، والاضطراب، والذهب، والمجيء، يعني: تصورو الحركة تكون هكذا، يكون فيها ذهاب ومجيء، من جهة إلى جهة، فيها اضطراب، وفيها الحركة هذا، وهذا يسمى المور.

فإذاً: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [الطور: 9]، بمعنى أن تحصل لها هذه الحركة والاضطراب والذهب والمجيء، كذلك التشقق الذي يحصل ما علاقته بالمور؟ يعني: هل المور هو التشقق، وهل يلزم من المور التشقق؟ من حيث اللفظة لا يلزم، لكن من لوازم مور السماء تشقيقها، يعني: تتشقق بعد هذا المور.

وقضية ترتيب الأحداث التي تحدث في السماء، قد يكون صعباً أنك تراقب الأحداث، ماذا يحصل؟ ثم ماذا يحصل؟ ثم ماذا يحصل؟ قد يكون صعباً، وأحياناً في بعض الأحداث قد يمكن أن يقال: النتيجة لهذا فيما يدل عليه العقل، لكن على العموم إن كل هذه الأحداث التي تحدث للسماء، في قوله: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [الطور: 9]، وأكد قوله: (تمور) بقوله: (موراً)، وهذا من باب التأكيد، الذي يسمى المفعول المطلق.

قوله وتسير الجبال سيرا

قال: وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيِّرًا [الطور: 10]، هل ورد ذكر سير الجبال في غير هذه الآية؟ نعم في قوله: وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ [التكوير: 3]، وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ [الكهف: 47]، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ [النمل: 88]. فإذا مرحلة التسيير وردت بالقرآن في أكثر من موطن. هل الجبال لها أحوال أيضاً في القيامة غير حالة التسيير؟ مثل قوله: كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ [القارعة: 5]، قوله: فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثِّا [الواقعة: 6]، فَدُكَّتَ [الحاقة: 14]، فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا [طه: 105]، إذا عندنا أيضاً أحوال للجبال يمكن النظر فيها في القرآن، وكذلك أيضاً ورد عندنا التأكيد بالتسير بقوله: (سيّراً).

لعلنا نقف عند هذا الحد، وهذا الجزء الذي ذكرناه الآن كتطبيق، هو جزء من محاولة إعمال الذهن في بعض القضايا الواردة في القرآن، ويمكن لكل واحد منا أن يتأمل القرآن، وأيضاً قد يكون له اتجاهات ذهنية غير الاتجاهات الذهنية للآخر، فقد يعني بشيء لا يعني به الآخر، ويبدأ يستنبط ويفهم شيئاً لا

يستتبّطه الآخر ويفهمه.

بعض الأسئلة

قراءة تفسير الطبرى للمبتدئ

السؤال: هل تنصح طالب العلم المبتدئ بقراءة تفسير الطبرى؟

الجواب: لا شك أنه لا يصلح لطالب العلم المبتدئ تفسير الطبرى، وقد يستفيد منه في مسألة من مسائلتين، أما أن يكون كتاباً يقرأ فيه ويراجعه، فهذا الكتاب لا يصلح له.

أفضل كتاب يتناول قواعد التفسير

السؤال: ما هو أفضل كتاب يتناول قواعد التفسير؟

الجواب: عندنا كتابان في هذا، كتاب للشيخ خالد السبت، الذي هو قواعد في التفسير، وكتاب الشيخ حسين الحربي لقواعد الترجيحية.

الفرق بين التدبر والتفكير

السؤال: ما الفرق بين التدبر والتفكير؟ وهل يمكن الوصول لدرجة التفكير قبل استكمال درجة الفهم في الجزئية المقصودة؟

الجواب: طبعاً التدبر والتفكير لفظان متقاريان، لكن القرآن استخدم التدبر في مواطن، واستخدم التفكير في مواطن، وهذا موطن من مواطن التدبر والتفكير، أن تنظر في لفظ التدبر واستخداماته في القرآن، ولفظ التفكير واستخداماته في القرآن، فقد يتبيّن لك الفرق بين المعاني، يعني: متى تستخدم التفكير؟ ومتى تستخدم التدبر؟ أما قبل استكمال درجة الفهم فلا شك أنه يقع نقص في التدبر، لا بد من تام الفهم، وأن تكون قد فهمت الآية فهماً واضحاً.

مفهوم قوله تعالى: (إِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)

السؤال: يقول: إِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ

[العنكبوت: 10]، هل تعني الآية أنه إذا ترك إنكار المنكر فإنه يصيّبه من جراء ذلك أذى متحقق؟ وأنه بتركه يكون مذموماً، حيث جعل هذا الذي يصيّبه صاداً له عن أداء الواجب، أم ماذا؟

الجواب: الكلام الذي قلته صحيح، لكن هل الآية تدل عليه؟ هذا الذي يقع فيه الإشكال، يعني: هل الآية تدل على هذا المعنى الذي ذكرته؟ أم لا؟ هذا يحتاج إلى تأمل، يعني: هل يدخل ضمن معنى الآية أو لا؟ ليس عندي فيها شيء الآن.

زمن حصول المودة والحب بين الزوجين

السؤال: هل الاستدلال بهذه الآية **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا... [الروم: 21]** على أن المودة والحب بين الزوجين إنما تقع بعد الزواج، وأن كل حب له علاقة بما قبل الزواج باطل وكذب، وهل يعد هذا استنباطاً صحيحاً؟

الجواب: نحتاج أصلاً إلى أن نعرف الواقع، هل بالفعل كل حب قبل الزواج يكون باطلًا، هذا مشكل، يعني: هل الواقع يدل على هذا؟ صحيح أن أغلب الحب الذي قبل الزواج فاسد، ونتائجـه فاسدة، لكن لا يلزم أنه كلياً، فهذا يحتاج إلى تأمل، وأن الآية تدل على هذا المعنى أو لا.

هذا السؤال يحتاج إلى مراجعة أيضاً، ما عندي فيه جواب مباشر.

ربط ما حدث في شواطئ إندونيسيا بقوله تعالى: (**وَإِذَا البحار سجرت**)
السؤال: ما حدث في شواطئ إندونيسيا، هل يقوى معنى: **وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ** [التكوين: 6]؟

الجواب: لكن ما كان فيها نار، هي كانت فيضانًا، كونها فيها نار أو ما في نار هذه قضية أخرى، لكن: **وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ** [التكوين: 6]، هي تتحدث عما سيكون يوم القيمة، وليس عما هو كائن الآن.

المراد بالرسم العثماني

السؤال: ما المراد بالرسم العثماني؟

الجواب: الرسم العثماني: هو الرسم الذي كتب به الصحابة المصحف في وقتهم، وهذا تعريف اصطلاحي، **وَإِلَّا فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الرَّسْمُ الْإِملَائِيُّ** الذي كان في وقتهم، لكن حصل تطور للرسم، فما صار بعده من رسم، صار يسمى الرسم الإملائي، وأما الرسم الذي رسم به الصحابة فسمي رسمًا عثمانياً وثبت، ولذا لا يجوز أن يغير رسم الصحابة؛ لأنـه إجماع من الصحابة على هذا الرسم.

يعني: الصحابة لما جاءوا يكتبون المصحف، كتبوه على ما يعرفونه من الرسم الذي تعلموه، وثبت واستقر هذا الرسم وما غير، وأما الرسم في غير المصحف فإنه تطور؛ فلذا لا يقاس رسم المصحف العثماني على غيره من الرسوم التي أريد لها أن تتتطور، والتتطور فيها مستمر إلى يومنا الحاضر، وهناك خلافات بين علماء الرسم -الذين هم علماء الإملاء- واضحة وكثيرة جدًا، كيف تكتب كذا؟ كيف تكتب كذا؟ إلى اليوم، وأمثلة معروفة بين المسلمين كيف تكتب إلى اليوم، فالقصد أن ننتبه إلى أن الرسم العثماني هو الرسم الذي كتبه الصحابة في وقتهم، وثبتت عليه المصحف.

مخالفة القراءة للرسم العثماني

السؤال: وإذا خالفت القراءة الرسم العثماني لماذا لا يحتاج بها مع التوضيح والأمثلة؟

الجواب: هذا موضوع شائك قليلاً، لكن نقول: أحياناً قد تكون القراءة مخالفة للرسم ويقرأ بها؛ لأن القراءة قاضية على الرسم، فالأصل القراءة وليس الرسم، أيضاً من باب الفائدة، لأنه أحياناً يلبس علينا فيها مثل النصارى والمستشرقين، فنقول: إذا تأملنا هذا الموضوع الذي هو موضوع الرسم، فلو رجعنا إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم، هل الصحابة كان الأصل عندهم اعتماد المرسوم أو المحفوظ؟ المحفوظ، يعني: في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان الاعتماد الأغلب على ما يتلقون من النبي صلى الله عليه وسلم ويحفظونه.

ثم يقراءونه مثلما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم، والرسم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان قليلاً، هو موجود لكنه كان قليلاً، كذلك في عهد أبي بكر وعهد عمر رضي الله عنه، وعهد عثمان رضي الله عنه أيضاً، أيهم كان أكثر؟ المحفوظ المقرؤ، أو المرسوم؟ المحفوظ المقرؤ ما زال هو الأغلب، ولا زال هذا هو الأغلب في حال المسلمين إلى زمن قريب، وسائل أي واحد عندكم، إذا كان أحد من أجدادكم حياً، أسأله: كم كان يوجد في مسجدكم من مصحف؟ المصاحف كانت قليلة إلى وقت قريب، لكن ما شاء الله كثرت في الزمن المتأخر، فنحن نتخيل أو نتصور أن المصاحف مثلما هي

عندنا كانت عند الصحابة والتابعين، وهذا غير صحيح فوجود المصحف كان شاقاً، لا يعني أنه لا توجد المصاحف، لكن كم كان عدد المسلمين؟ وكم منهم يستطيع أن يمتلك مصحفاً؟

فكانت قضية الحفظ هي الأساس، والمسلمون لا يقرءون من المصحف، يعني: لا يعتمدون الرسم، ليس الرسم هو المعتمد عندهم، وإنما كان الأمر كما قالوا: لا تأخذ القرآن من مصحيٍّ، يعني: ممن يقرأ من المصحف والألواح؛ لأنَّه يبقى عنده خطأً وخلل كثير، وأنت لو تقرأ مصحفاً على حسب ما رسم، قد تقرأ آيات خطأً، مثلما لو كنت تتعلم لغة قوم، وبدأت تتعلم كلمات، هذا كذا، هذا كذا، ثم أعطاك جملة أو كلاماً وقال لك: اقرأ، تقرأ على حسب ما تعلمت من لفظ الكلمات، فيقول لك: لا، هذه الكلمة تقرأ كذا، إذا جاء الحرف الفلاسي، يقرأ كذا.

فإذاً الرسم وإشكالاته موجود في جميع لغات العالم ورسوم العالم، والاعتماد في قراءة القرآن على المقرء المحفوظ، وليس على المرسوم، ولهذا بعضهم يلبس، قد يكون جاهلاً، لكن بعضهم حتى مع جهله يتقصد التلبيس، ويأتي بمخاطر يقول: هذا ليس فيه نقط.

وأنا رأيت أحد النصارى حاقداً جداً على المسلمين، أتى بمخاطر، يقول: كيف المسلمين يقرءون هذا الكلام؟ يعني ما تخيلون يقع عندهم أخطاء، يقول: هذه وقع فيها أخطاء في قراءة القرآن، وكل واحد منهم قرأ على مزاجه ثم خرجت الأحرف السبعة، القراءات، والكلام الطويل، وهذا جهل مطبق جداً، لكن هذا نصراني كافر، يريد أن يلبس على المسلمين، ولذا يجب أن ننتبه إلى مثل هذه القضية: أن الاعتماد الأغلب هو على المحفوظ، والقرآن إنما يؤخذ بالتلقى، كيف تأخذ الروم؟ كيف تأخذ الإشمام؟ لا يمكن أخذه إلا بالتلقى، ولا يمكن أخذه من خلل الرسم.

قواعد في إلقاء دروس التفسير على العامة

السؤال: من أراد أن يلقى على العامة دروساً في التفسير، فهل يلزمته أن يكون عالماً بقواعد التفسير؟ أم يكفيه أخذ المعانى من كتب المفسرين، وإلقاءها على الناس؟ وهل له أن يختار معنى واحداً؛ لئلا يلبس على العامة، أم لا بد

أن يذكر جميع معاني الآية التي ذكرها المفسرون؟

الجواب: هذا سؤال جيد! العلم يا إخوة، لا يمكن أن تقول: أنت الآن تستطيع أن تلقي، وأنت لا تستطيع أن تلقي دائمًا، يعني: قد يكون عندنا بعض طلبة العلم، عنده قدرة على أن يلقي، وبعضهم ما يستطيع أن يلقي، لكن أحياناً قد يكون طالب علم عنده قدرة على أن يلقي، فكيف يستطيع أن يلقي على العامة، هذا سؤال جيد، وأعتبره حقيقة من الأسئلة المهمة التي تستحق أن يوضع لها ندوة في مداولة كيف يمكن أن نفهم العامة معاني القرآن.

وأقول: عندنا مراتب، على سبيل المثال: التفسير الميسر، يفيد العامة؛ لأنَّه يأتي بالمعنى الإجمالي، والإشكالية عندنا أنها غير فاهمين فكرة هذا الكتاب، وقد نعتبر أن الكتاب معانيه بسيطة جدًا، لا ليست بسيطة، بل الحقيقة أنَّ الذين يكتبونها يحتاجون إلى قدرة في سبك المعلومة بهذه الصورة، والذي يعرف اختلاف المفسرين ويقرأ في ذلك كتاباً يعرف القدرة التي وقعت في السبك في هذا، فإذا العامة يحتاجون إلى المعنى الإجمالي، والآيات لو جئت تفسرها على العامة، لا تحتاج أن تذكر لهم الخلافات، بل تعتمد أحد العلماء، أو أحد الكتب المعتبرة، وتأخذ بالقول الذي رجحه وتنتهي، مثل الشيخ

السعدي أو ابن كثير إذا كان رجح، أو الطبرى إذا رجح، أو مثل التفسير الميسر المجتمع عليه نخبة من العلماء، وكتبوا، فتذكرة لهم دون ذكر المعاني هذه.

المسألة الثانية التي يحتاجها العامة، إذا انتهينا مثلًا من المعنى: هي بعض الهدایات والإرشادات التي في الآيات، فعندما تقرأ له: **وَالظُّرِّ*** وكتابٌ **مَسْطُورٍ** [الطور: 1-2]، تستطيع أن تعطيه بعض الفوائد من خلال هذه الآيات، لكن بشرط أن تكون فوائد معتبرة وصحيحة والآيات تشير إليها وتدل عليها، مثلًا عندما تأتي لقوله: **وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورٌ** [الطور: 4]، يمكن أن تعطي فوائد على قوله: **(وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورِ)**، وأنه هو البيت الذي في السماء، وتذكرة كيف منَ الله سبحانه وتعالى علينا نحن البشر، وأنعم علينا بهذا البيت المعمور

الذي بين يدينا الذي هو الكعبة، وشرفنا به، وجعل هناك بيته في السماء مثله تدخله الملائكة، وتتطوف به، بحيث أنك تنبه المسلمين إلى قيمة هذا البيت الذي عندنا، هذه فائدة ممكن تذكرة بها الأسلوب، وتذكرة فائدة أن تكون

عامراً لبيت الله سبحانه وتعالى، مكثراً من الحج، مكثراً من العمرة، مكثراً من الطواف، مكثراً من الصلاة في هذا البيت إذا كنت قريباً منه، كل هذه فوائد تشير إليها.

فإذاً هذا ما يحتاج إلى قضية استنباطات أو استدلالات، وإذا سلمنا هذا الأسلوب، فحينئذٍ ممكناً أننا نوصل معانٍ القرآن للعامة بإذن الله بيسر وسهولة. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الكلمات المفتاحية:

#أصول-التفسير

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.